فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

سلسلة "قصص الأنبياء"

قصة نبي الله يوسف (١) مسجد البدر

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد سيف

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-115427.htm

خرج علينا النبي–صلى الله عليه وسلم–يومًا فقال:"يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على رياض الذكر فارتعوا في رياض الجنة، فقالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ للَّهِ عزَّ وجلَّ سَرايا منَ الملائِكَةِ تحلُّ وتقفُ على مَجالسِ الذِّكرِ في الأرضِ؛ فارتَعوا في رياضِ الجنَّةِ. قالوا: وأينَ رياضُ الجنَّةِ؟ قال: مَجالِسُ الذِّكرِ" ضعفه الألباني ارتعوا، الرتع: اللي هو الطعام والشراب، نيجي معانا نرتع يعني ننعم ونأكل ونشرب، فالنبي–صلى الله عليه وسلم–أمرنا أن نرتع في مجالس الذكر.

الحكمة من نزول قصة يوسف على نبينا –صلى الله عليه وسلم–

اليوم مع قصة عظيمة من قصص القرآن تعرف عليها النبي–صلى الله عليه وسلم–بداية في مكة، النبي–صلى الله عليه وسلم– تعرف على هذا النبي الكريم عندما نزل جبريل يتلو عليه هذه الآيات، إيه الحالة التي كان فيها النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ النبي–صلى الله عليه وسلم– كان في شدةٍ وكرب وضيق، يحاصره قومه، يمنعون الناس من الإيمان به، يؤذونه ويعملون عن الصد عن سبيل الله، في الوقت الذي اشتدت فيه الأزمة بين النبي –صلى الله عليه وسلم– ودعوته لقريش والذي حوصر فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– في شِعب أبي طالب، وأبرمت قريش فيه عقوبة اقتصادية وسياسية واجتماعية على النبي –صلى الله عليه وسلم– وأتباعه أنه لا يأكل أحد ولا يتاجر معهم ولا يتزوج منهم وأنه إذا وجدوه حيًّا أو ميتًا فليقتلوه، نزلت هذه الآيات لتقص قصة هذا النبي الكريم على النبي –صلى الله عليه وسلم– نبينا اليوم هو يوسف عليه السلام.

قص الله علينا قصة حياة يوسف عليه السلام كاملة

يوسف عليه السلام أكرم نسل ونسب عبر التاريخ، فهو نبي بن نبي بن نبي بن الخليل، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وتلقى النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبار يوسف عندما كان في شعب أبي طالب، ذكر الله –سبحانه وتعالى– قصة يوسف مجمعة في سورة واحدة في كتاب الله، أكثر القصص ذكرت في القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام، ويوسف عليه السلام، سيدنا موسى ذكرت قصته مفرقة وسيدنا يوسف ذكرت قصته مجمعة في سورة واحدة وقص الله على النبي –صلى الله عليه وسلم– ليعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم يعلمها من بعد النبي

–صلى الله عليه وسلم– كيفية إعداد الله لهذين النبيين الكريمين، يعني الله لم يذكر قصة نبي وهو في المهد إلا عيسى بمعجزته، ولم يذكر الله –سبحانه وتعالى– قصة نبي وهو طفلٌ صغيرٌ ثم عندما يكون شابًا ثم كيف نشأ وترعرع إلا موسى عليه السلام ويوسف عليه السلام، لأن جميع الأنبياء تجد مشهد من مشاهد حياته؛ زي سيدنا شعيب، سيدنا صالح، سيدنا لوط، سيدنا هود، تجد مشهد من مشاهد الدعوة مع قومه، مشهد من مشاهد التعامل مع البشر من الناس من أهله، في صراعه مع أهل الباطل في مواجهة الملأ، غير يوسف عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام قص الله علينا قصته بل ذكر الله "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ"يوسف:٣.

مراحل قصة يوسف عليه السلام

أحسن القصص هي قصص القرآن، وقيل أنها قصة يوسف من وسط قصص القرآن.

فتعالوا اليوم نتعرف على هذا النبي الكريم، يوسف عليه السلام. يوسف عليه السلام لم يكن عربيًا إنما كان من أهل الشام ولد فيها ولم يكن يتكلم العربية ونشأ يوسف طفلًا في حضن أبيه يعقوب عليه السلام. ولنا في قصة يوسف مشاهد كثيرة لو قعدنا نتكلم عن سورة يوسف أعتقد إن الموضوع هيطول معنا كثيرًا، لكن سريعًا كده

افتتح الله سبحانه وتعالى سورة يوسف بمشهد قال الله تعالى:"الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" يوسف:١–٣ كذلك الله –سبحانه وتعالى– قص علينا أحسن القصص وقال الله –سبحانه وتعالى–:"كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا" سورة طه:٩٩، في سورة طه فإن الله –سبحانه وتعالى– قص علينا هذه القصة، قص الله –سبحانه وتعالى– علينا قصة يوسف عليه السلام ومر يوسف عليه السلام بعدة مراحل في الحياة، مرحلة هو مع إخوته؛ ومرحلة وهو عبدٌ يباع ويشترى؛ ومرحلة وهو شابٌ قويٌ في قصر العزيز؛ وهو في السجن ثم مرحلة أخرى وهو ممكّن.

ما أحوجنا أن نسمع لأبنائنا

فتلقى النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه الآيات في قصة يوسف عليه السلام ليرى إرادة الله –سبحانه وتعالى– وكيف أنها غالبة، كيف أن الله غالب على أمره؛ ليرى أن الله –سبحانه وتعالى– يفعل ما يريد وما يشاء، ليرى أن الله – سبحانه وتعالى– يقدر على نصر أوليائه، ليرى أن المحنة ربما وراءها منحة، يرى أن التمكين له خطوات، كما ذكر الله – سبحانه وتعالى– التمكين كما ذكره في قصة يوسف عليه السلام، قال الله –سبحانه وتعالى –:"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" يوسف:٤ الله –سبحانه وتعالى– فتح القصة بمشهد رجل يجلس مع ابنه، وما أحوجنا إلى الجلوس مع أبنائنا لنعلمهم ونرشدهم، رجلٌ يجلس مع طفلٍ ليسمعه، أحيانًا كثيرة الطفل يتكلم والأب لا يعيره الانتباه، لأنه طفل، ياعم ده بيتكلم أي كلام؛ ياعم طيب بص شوف كده

العصفورة ويلهيه، يعقوب عليه السلام نبيٌّ كريمٌ يربي ابنه إنه يسمع ابنه بل إنه يسمع الرؤيا، ابنك يحكي لك طفل صغير يقول لك أنا شفت في المنام كذا وكذا، فتقعد تسمع له، يعقوب عليه السلام يسمع قصة يوسف عليه السلام إنه الاهتمام بالأبناء، ذلك الاهتمام لأنه كان صبيًّا ولأنه كان نبيًّا مربيًّا.

خاف يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف من الحسد

فيقص يوسف عليه السلام هذه الرؤيا على أبيه يقول:"يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" شفت كواكب ونجوم، شفت شمس وقمر، عملوا حاجة غريبة جدًا، بيسجدوا لي ويعقوب ويوسف كانوا يسجدون لله – سبحانه وتعالى–، انظروا إلى توجيه يعقوب: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" يوسف:٥، وتتعجب من هذا التوجيه، هل يحسد الأخ أخاه، إنهم في بيت واحد بيت النبوة إنهم يتربون عند نبي إنهم أحفاد نبي، ومع ذلك يعقوب يوجه ابنه يوسف ألا يتكلم أمام إخوته؛ ولماذا لا يتكلم أمام إخوته قال:"فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا"، يعقوب عليه السلام يعرف أبناءه ويربيهم، ويعرف نفوسهم؛ هؤلاء الإخوة لم تكن مرباة تربية يرضى الله –سبحانه وتعالى– عنها بعد، كانوا لا يزالوا في مرحلة جذب الأنظار، هو يريد أن يجذب أنظار الناس إليه يحب أن يُطاع فلا يُعصى، يحب أن يُذكر فلا يُنسى، يحب أن يُشكر فلا يُكفر، هو مازال يحب أن يُوجِه الناس أنظارهم إليه هو مازال يحب أن يكون الكبير والعظيم وصاحبال مكانة وصاحب الرفعة في وسط الناس، مازالوا يبحثون عن رضا المشهد، وسنرى كيف أن هؤلاء الإخوة مع أنهم إخوة له من أبيهم ومع أنهم يأكلون ويشربون معه في بيت واحد كيف أنهم كادوا له بالفعل.

الحسد نار تحرق كل شيء

إن يوسف عليه السلام لم يقص عليهم نبأه ولم يقص عليهم رؤيته، يعقوب عليه السلام علم أن هذه نعمة وأن كل صاحب نعمة محسود وأنهم لن يطيقوا أن يروا النعمة عند أخيهم، فيه ناس كده؟ آه. نريد أن نخلص أنفسنا من هذا في ناس لا تطيق إن واحد يمدح قدامه، لو جيت تقول فلان كويس يقول لك بس عنده مشاكل بس مش كويس قوي، ما بيعرفش إن هو ما يكونش هو الممدوح ما بيعرفش ما يكونش هو اللي محمود عند الناس، ما بيعرفش يكون هو مش صاحب المكانة عند الناس، فإذا مدح أحد غيره أمام الناس فإذا به يشوشر إذا به يشوش، الحسد هو تمني زوال النعمة، وإذا حسد الرجل دين الرجل فإنه يكفر، لأن تمني زوال الدين كفر، واليهود حسدوا النبي –صلى الله عليه وسلم– لأن النبوة نزلت فيه فكفروا، والحسد يؤدي إلى حقد؛ والحقد نار تأكل كل ما في القلب، تحلق كل الدين قال النبي–صلى الله عليه وسلم–:"دب فيكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء، لا أقول تحلق الشعر إنما أقول تحلق الدين، الحديث،" دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم : الحسدُ والبغضاءُ ، والبغضاءُ هي الحالقةُ ، أما إني لا أقول : تحلِقُ الشَّعرَ ، ولكن تحلِقُ الدِّينَ" حسنه الألباني، تخيلوا دينه يتحلق.

لم يتخيل أحد العناء الذي سيلقاه يوسف عليه السلام

انظروا إلى هؤلاء الإخوة كيف أنهم افتروا ، هنشوف دلوقتي، قالوا على أبوهم ضال وهو نبيٌ يوحى إليه، قرروا أن يقتلوا أخاهم يوسف عليهم السلام، يعني عق أبوه وقتل أخوه ليه؟ قال له:"يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ" حتى ينفردوا بوجه يعقوب عليه السلام، وهل وجه يعقوب عليه السلام لينظر إليهم يحتاج كل هذا الحقد والحسد؟! إنها موازين أخرى قال الله –سبحانه وتعالى–:"قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" يوسف٥:٦، علم يعقوب عليه السلام أن يوسف بهذه الرؤيا سيُجتبى وأنه سيكون صاحب مكانة، لكن تتعجب أن الأقدار لن تسير على وفق ما نراه، إذا رأى أحدنا رؤيا بهذا؟ أن الشمس والقمر لهم ساجدين فيعلم أنه سيمكن، وإذا ذهب إلى رجل عالم وقال له أنك ستكون صاحب مكانة لن تتخيل أبدًا ولن يخطر ببالك أبدًا ما سيراه يوسف عليه السلام بعد هذه الرؤيا، هو رأى رؤيا وكأنها بشارة خير، نور في الطريق، غير أنها ليست البداية إنما ستكون النهاية.

الابتلاء دائمًا يكون قبل التمكين

قال:"وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" يوسف:٦ بشر يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام بأنه سيكون نبيٌ وأنه سيأتيه جبريل عليه السلام بالوحي وأنه سيكون صاحب مكانة، وسيكون إمامًا لقومه غير أنه نصحه قبل ذلك ألا يقول لإخوته ذلك، مرت قصة يوسف عليه السلام تقص علينا قصص يوسف قال الله –سبحانه وتعالى–:"لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ" ليست آية واحدة إنها آيات لمن أراد التمكين، لمن يسأل عن معاملة الله –سبحانه وتعالى– لأهل طاعته، لمن يسأل عن معاملة الله للأنبياء، لمن يسأل عن كيفية ابتلاء للأنبياء، لمن يسأل عن المراحل التي يوضع فيها الإنسان قبل أن يكون صاحب مكانة عند ربه ثم يمكنه الله في الأرض.

وزن إخوة يوسف الأمور بميزان خاطىء

قال الله –سبحانه وتعالى–:"إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" يوسف:٨، انتقل المشهد من رجل يجلس مع ابنه إلى إخوة يجلسون مع بعضهم البعض، الإخوة دول عايزين إيه؟ بيتذاكروا، عاملين مؤتمر، بيكيدوا ليوسف، قال الله –سبحانه وتعالى–:"إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" الميزان عندهم ميزان العصبة، ميزان القوة، إحنا كثير ليه أبونا ما يبصلناش أكثر من يوسف وأخيه، من كان مخطئًا، نظرة هؤلاء أم يعقوب عليه السلام؟ يعني لو أن يعقوب عليه السلام لم يكن ينظر إلى يوسف وأخوه هل سيكون صوابًا أم أن هؤلاء هم المخطئون ربما يفكر البعض لماذا نظر يعقوب إلى يوسف وأخوه أكثر من نظره إلى أبنائه، إن يعقوب عليه السلام لنبيٌ كريمٌ وإن الله –سبحانه وتعالى– أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يتعلم من يعقوب عليه السلام واختار الله –سبحانه وتعالى– من قصة يعقوب هذه المشاهد، إذن هذه المشاهد هي الصحيحة،

غير أنه هناك ميزانٌ عند هؤلاء ميزانٌ خاطئ أنهم يعتقدون أن العدل هو المساواة والعدل غير المساواة، العدل هو أن تعطي كل صاحب حاجة حاجته، على قدر قدراته، الطفل الصغير يحتاج إلى رعاية أكثر من الكبير، الطفل العاجز يحتاج إلى رعاية أكثر من الطفل الصحيح، الطفل الغائب يحتاج إلى اهتمام أكثر من الطفل الموجود بجانبك، لذلك لما سألوا أم من العرب من أحب أبنائك إليك قالت المريض حتى يصح والصغير حتى يكبر والغائب حتى يرد سالمًا.

إياكم و الحسد فإنه يدمر كل شيء

إن يعقوب عليه السلام كان يعامل أبناءه بمقتضى العدل، هم وهم صغار كان يهتم بهم أيضًا، فالطفل الصغير يحتاج إلى اهتمام أكثر من الكبير، غير أنهم سيئي الظن، عندهم حسد وحقد، حسد يحتاج أن نتخلص منه، لأنه يدمر كل شيء، أسرة تغيرت مصائرها، مصير يعقوب ومصير يوسف ومصير إخوة يوسف عبر سنين طويلة تغيرت هذه المصائر بهذا الحسد. إن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يعلم أصحابه ويقول:"لا تحاسدوا" أوعى تحسد أخوك، أوعى لما تشوف نعمة عند أخوك تحسده، أوعى لما تشوف فلوس عند أخوك تحسده، أوعى لما تشوف ذكاء عند أخوك تحسده، أوعى لما تشوف دين عند أخوك تحسده، يُحسد كل صاحب نعمة، بل حتى أهل القرآن يقول لك والله أنا كنت حافظ القرآن كله، ثم جلست مع أصحابي فلم أعد أذكر آية، المجتمع الحسود مجتمع منهار؛ مجتمع متفكك؛ كل واحد فيه يحب أن يكون الأعلى ويحب أن يشار إليه بالبنان، إخوة يوسف حسدوا يوسف عليه السلام، علام حسدوه؟ أن أبوه يحبه ويرعاه، وتتعجب لهذا، هل هذا شيء يُحس؟د! هل هناك عقلية بهذه الطريقة؟! إن واحد يحسد أخوه ويتطور الحسد إلى معصية عشان أبوه بيحبه أكثر، نفهم عندها لماذا قال له يعقوب:"لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" أخ يكيد لأخوه، ليه؟

الشيطان وظيفته أن يوقع البغضاء بين الناس

يوسف عليه السلام لم يرتكب ذنبًا، ويعقوب عليه السلام لم يرتكب ذنبًا، غير أن الشيطان عدوٌ مبينٌ، ولأن الشيطان عدوٌ مبينٌ فإنه يدخل من أقرب المداخل إلى الصالحين فيتآمر إخوة يوسف على يوسف بدون ذنب من يوسف، وتدخل طفولة يوسف في مرحلة خطرة، إن الأمر تعدى مجرد إن هما بيحسدوا يوسف إن هما بيقولوا "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" هو أحب إلى أبيكم لأنه الأصغر ولأنه أكثر طاعة "إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" إلى العقوق، يتكلم على أبيه بصيغة لا تناسب، واحد بيقول لك أنا اتخانقت مع أبويا وزعقت له، أخ بيقول إنه عنده مشكلة دخل البيت لقى أبوه بيتشاجر مع أحد الجيران فزعق لأبوه، فتتعجب! مجرد الحكي بهذه الطريقة عقوق، مجرد أصلًا الكلام بهذه الطريقة على الأب عقوق، هم تعدوا من مرحلة إن هما ينظروا إلى يوسف عليه السلام بعين الحقد والحسد إلى سوء الظن في أبيهم، طبعًا سوء الظن ده إيه، قصة طويلة قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" صحيح البخاري.

أحسن الظن بأخيك و إلتمس له العذر

أن أحسن الظن في أخيك، كان معطيك معاد وتأخر أكيد كان عنده مشكلة، أكيد مُنع مش لازم يكون طنشك وبيستهزأ بيك، وما بيحبكش وبيتكبر عليك وحاسس إنك تقيل وعايز ينهرك بس مش عارف، ليه كل ده! عادي جدًا تطمأن عليه تقول له أنت نسيت يقول أه نسيت محصلش حاجة. أحسنوا الظن في إخوانكم إن داعي إلى الله قال درس وفي نص الدرس أخطأ في حديث، نسي، تلاقي بقى جاي ومش عارف والبلد كلها تتكلم، يا جماعة الراجل نسي ما حصلش حاجة، مجتهد ونسي، ربما لا يعلم أخبره، لا لا لا هو يقصد كذا هو مقصده كذا هو عايز، إيه أحسنوا الظن في الناس، الخطأ خطأ ولا نقول لا ننكر الخطأ إنما أنكر الخطأ فمعركتك مع الشيطان ليست مع أخيك. هؤلاء، كبرت عندهم نفوسهم جدًا لدرجة إنهم قرروا أن سيدنا يعقوب ضال يعني تخيل إن أنت بتقول على رجل صالح ضال، تخيل إن أنت بتقول على يعقوب عليه السلام اللي هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم أنه في ضلال مبين، طب لما يعقوب في ضلال مبين، أمال مين في طاعة مبينة، أمال مين من الصالحين، أمال مين من أهل الصلاح، إذا كان يعقوب في ضلال مبين، نار الحقد تُعمي، نار الحسد تُضيق القلب تأكل كل خير، ثم تعدى الأمر إلى أنهم يعقوا أبيهم ثم يظنوا فيه ظنًّا سيئًا ثم يشتموه، إلى أن يقولوا:"اقْتُلُوا يُوسُفَ" قرروا قتل يوسف عليه السلام "أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا" أي بعيدًا "يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ" تسويف.

نتيجة الحسد بين الإخوة

بردو عندهم حته إيمان، نعملها ونتوب، لازم نستغفر ونتوب، نعملها ونتوب، أحيانا كده، الاستهانة بالمعاصي، الاستهانة بحرمات الله، يقول أكسب الموقف وهتوب، فهما بيقولوا إيه نقتله ونتوب أنت فاهم هو بيقول إيه؟ نقتله، ده ذنب كبير قوي، ده معصية كبيرة قوي، ده من أكبر الكبائر إن واحد يقتل إنسان، لكن قال إيه وهو عارف إنها معصية هتوب ليه؟ تفهم حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو بيقول إيه "أنها لا تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين"، إنه لم يعد ينظر إلى نظر الله ولم يعد ينظر إلى المعاصي، إنما نظر إلى مكانته عند أبيه، إن إزاي أكون صاحب مكانة، إزاي أكون شكلي حلو في الشغل، دائمًا الأعمال الناس اللي بتشتغل في مكان محدود مصالح حكومية مثلًا أو شركات، اسمه مجتمع مغلق، دائمًا المجتمعات المغلقة بيكثر فيها اللغط، فتلاقي واحد عايز يترقى أو عايز يأخذ مكانة، فيعمل إيه؟ هدفه إنه ياخد مكانة، كان أحد الأفاضل بيقول لي يعني أديته بس كتف كده، إنه هو وشى به عند المدير بأخطاء وزود فيها شوية ليه؟ ليأخذ هو مكانته حسد.

تآمر إخوة يوسف عليه

تقول له طب ده حلال؟ يقول إيه استغفر استغفر هنعمل أعمال صالحة، بجد والله؟! بهذه البساطة؟! بهذه البساطة، قال" اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" يوسف ٩:١٠، الغيابة يعني القعر، والجب يعني المكان المقطوع من الأرض"وَثَمُودَ

الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ"الفجر:٩ يعني قطعوا الصخر بالواد، الجب المكان المقطوع من الأرض الذي ليس له حيطان، حفرة؛ بير ليس له جدران، يعني مش بير مبني قال ألقوه في قعر هذا الجب "يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" مؤامرة تمت على يوسف عليه السلام بدون قصد من يوسف بدون خطأ من يوسف بدون خطأ من يعقوب، غير أن أهل الشر لا يتركون أهل الخير في حالهم ، هم أقرب الناس إليه، هم من نسبه هم إخوته، يأكلون معه ويشربون معه في نفس بيته، غير أنهم كادوا له، لماذا؟ دب إليهم الحسد والبغضاء، دب إليهم الحقد، وتحول الحقد إلى طاقة شر تأكل كل شيء فانطلقوا يخططون ويتآمرون ويكيدون على قتل يوسف وعلى اتهام أبيهم يعقوب بأنه من الضالين.

إذا رأيت من أخيك ما يعجبك فقل اللهم بارك

الله غالب على أمره، حبكوا القصة واتفقوا. ثم مشهد ثالث هؤلاء ذهبوا إلى يعقوب عليه السلام:"قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ" فيه واحد اسمه ذكي ذكاء اجتماعي لما يجي يطلب منك حاجة بيسبق بالحاجة اللي أنت هترفض بيها، فدي حيلة يعني وأكيد أنتم فاهمينها، إنت هتقول علي كذاب، خلاص بعد كده مش هقول عليك كذاب، هتقول أنا عايز أعمل كده عشان ألعب وأنا عارف الحتة دي كويس جدًا:"قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ" أنت مش عايز تأمنا على يوسف، ده أخونا، وانظروا كيف إنهم كذبوا، كيف يحمل الحسد والحقد والبغضاء الإنسان إلى أن يكذب، عايزين النهاردة نقف وقفة شوية مع مسألة تطهير النفس من الحسد من الحقد والغيرة لصاحب نعمة فقل ما شاء الله تبارك الله، فربما تحسده وأنت لا تشعر، كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم عائشة قال:"استعيذي بالله من الحسد"عن عائشةَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لها استَعِيذي باللهِ مِن العَيْنِ فإنَّها حَقٌّ "رواه الطبراني، وكان يعلمها الرقية إنك دائمًا ترقي نفسك وأنت دائما تبرّك يعني تدعو بالبركة على الشيء الذي تراه إذا رأيت أحد صاحب فضل أو صاحب مكانة أو صاحب نعمة أو صاحب مال أو صاحب منصب فقل ما شاء الله تبارك الله اللهم بارك مش تقول يااه ده عربية جامدة جدًا.

كن كالنحلة لا تقع عينيك إلا على الخير

كان أحد الناس بيحسد الطيور يقول شوف الطير بيجري بسرعة إزاي، يخلص عليه، العين حق، والحسد يؤدي إلى تصرفات إلى موبقات. ثم إذا تطهرنا من الحسد هننطلق لخلق تاني وهو حب الخير للناس، إنك تحب الخير للناس، إنك تحب الثناء على الناس بما فيهم، ليس ظلمًا ولا كذبًا ولا زورًا، تكون عينك جميلة، كن جميلًا ترى الوجود جميلًا، لا تكن كالذبابة لا تحط إلا على القروح والجروح، كن كالنحلة تحط على رحيق الأزهار وتخرج لنا عسلًا، في ناس كده عاملة زي الدبان عينه لا تقع إلا على المشاكل، إلا على الجروح والقروح، ده ما بيتكلمش إلا في العورات، وفيه ناس نظيفة عينه جميلة، ثم ننتقل إلى مرحلة أعلى مرحلة الإيثار أنك تؤثر الناس بالخير على نفسك، وبالنعمة على نفسك، الله –سبحانه وتعالى– ذكر أهل الإيمان في سورة الحشر قال:"وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا"الحشر:٩ عارفين إيه"مِّمَّا أُوتُوا"؟ المهاجرين مع النبي –صلى الله عليه

وسلم- لما هاجروا من مكة دول خلفاء النبي عليه الصلاة والسلام، يعني دول اللي هيمسكوا الحكم بعد النبي عليه الصلاة والسلام، الأنصار بايعوا النبي عليه الصلاة و السلام على الجنة، يعني محدش فيهم هيمسك منصب؟ لأ، يعني محدش فيهم مسموع الكلمة، لأ، يعني بعد النبي عليه الصلاة والسلام مين اللي مسك، سعد بن معاذ ولا سعد بن عبادة ولا أبو بكر؟ أبو بكر، مهاجرين، مين اللي وراه؟ عمر مهاجرين، مين وراه؟ عثمان، مهاجرين، مين وراه؟ علي بن أبي طالب مهاجرين، الأنصار مش هياخدوا حاجة مع أنهم آمنوا ونصروا مع أنهم ضحوا مع أنهم فتحوا وصبروا على طاعة الله، مع أنهم نشروا دين الله مع أنهم تحملوا الحرب، وهم أول من رفع السلاح مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قتالًا، تضحياتهم عظيمة جدًا ومع ذلك "وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا" يعني مما أوتي المهاجرون.

نتعلم معًا معنى الإيثار

ما عندوش غضاضة إنه هو يبذل كثير جدًا للدين ثم لا يأخذ مكانة، ثم لا يشار إليه بالبنان، ثم لا يكون مرفوعًا عند الناس، ماعندوش غضاضة إن يكون جندي يجهله الناس لكن يعلمه الله، ما عندوش أي مشكلة خالص إنه يعيش عمره يبذل في خنادق تحت الأرض، ثم هو لا يُرفع على برج عالية، مصعب بن عمير، عاش كل الضرب، عاش كل الإيذاء، يعني ما شاف لحظات التمكين العظيمة، آخر لحظة شافها مشهد أحد، لم ير فتح مكة، لم ير دخول الناس في دين الله أفواجًا، لم ير علو راية الإسلام بهذه الطريقة التي مات عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- عاش عمره في الفترة التي فيها الخسر، وقبله ياسر أبو عمار، ياسر قتل في مكة، وكان الرسول يقول: صبرًا آل عمار، إن موعدكم الجنة، يعني صبرًا يا أهل عمار، أبوه وأمه، أمه قتلت بحربة في فرجها، وأبوه قتل تعذيبًا في مكة، هو لم يشر إليه بالبنان لكن الله يعلمه، إحنا عايزين يكون عندنا خلق اسمه الإيثار إنك تؤثر أخوك بالنعمة، قال:"وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ"الحشر:٩.

موقف رجل نزل من أجله الوحي

لو جايلك ضيف وأنت ما عندكش غير رغيف وحتة حلاوة، وولادك ما اتعشوش، تعمل إيه؟ هتجيب له شاي وخلاص، هتجيب له كوباية ماية وخلاص، هتقوله ماتيجي ننزل نروح نزور فلان نتعشى معاه، ما عندكش حاجة خالص، رغيف عيش وحلاوة بس ومعاك أطفال صغار، تخيل أن هذا الرجل صحابي لم يكن عنده إلا طعامه هو وأولاده، بل لم يكن عنده حتى طعام أولاده، إلا مرقة، فدخل عليهم ضيف لا يعرفه، واحد غريب من بلد تانية، ما يعرفش عنه حاجة أصلًا، فإذا به يفعل شيئًا غريبًا يقول لزوجته: أطفئي المصباح حتى لا يرانا الضيف، ثم يقول سكني الأولاد بأي شيء، ثم يأخذ طعام أولاده وطعامهم ويضعه كله للضيف، في هذا الرجل نزل وحي، نزل جبريل من فوق سبع سماوات ليخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله رأى هذا المشهد، وأن الله -سبحانه وتعالى- أحبه، لأنه آثر أخاه على نفسه وأولاده، وفيه نزلت هذه الآيات:"وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" الحشر:٩ شح النفس يا جماعة مش بالغنى والفقر، فيه ناس أغنياء لكنها شحيحة وفيه ناس

فقيرة لكنها عفيفة، في ناس عندها إيثار وهي لا تملك شيء من حطام الدنيا، وكما قالوا القرش لا يهون إلا على الفقراء، يقول لك الأغنياء ما بيطلعش قرش لكن الفقير يطلع تقول له في طاعة الله؛ يطلع ويبذل"وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

خطة محكمة للتخلص من يوسف عليه السلام

هؤلاء قرروا أن يطيعوا أنفسهم، قرروا أن يمشوا وراء أنفسهم، ونفوسهم ستؤدي بهم إلى النار، لذلك "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ*أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"، حط خط تحت الكلمة دي "لَا تَأْمَنَّا" "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " إحنا هنحفظه، أنت مش آمنا! ده أخونا، ده إحنا عصبة ده إحنا كثير "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ" قلنا يعني إيه يرتع: يأكل ويشرب ويلهو وينعم ويلعب، طفل هيطلع معانا المراعي، كانوا يرعون غنم، هيطلع معانا في المراعي يرى السماء ويرى الأرض، ويرى الأرض الخضراء ويرى الغنم، ثم يلهو ويلعب فقال الله –سبحانه وتعالى– قاصًّا علينا هذه القصة، قال يعقوب عليه السلام: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" يوسف:١٣ سيدنا يعقوب قال لهم أنا خايف وحزين، أنا لا أحب أن يخرج فهو مازال صغيرًا، وأخاف عليه من الذئب. هما بقى يعني يستعملوا ذكاءهم، هنشوف هما ردوا قالوا إيه وبعدين قالوا إيه تاني "قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ" يوسف:١٤ ده قرر إن هو يخوض المعركة، قرر إن هو يؤدي الخطة بحذافيرها، اتفقوا هنرميه في الجب، هنعملها إزاي؟ لازم ناخده، هناخده إزاي؟ بإذن الله، أبوه مش هيوافق؟ هنقنعه، هنقنعه إزاي؟ هنتجادل شوية لحد ما ندخل من المدخل اللي بيحبه أبوه، يعقوب عليه السلام قال:"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ" قال أنا خايف وحزين، ولكن إرادة الله غالبة.

يأتي البلاء ثم يتبعه التمكين

كان بإمكان يعقوب أن يمنعهم لكن الله –سبحانه وتعالى– أراد أن يربي يوسف على طريقة ما وقص الله على نبيه– صلى الله عليه وسلم– هذه الطريقة حتى لا ييأس النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا كان في شعب أبي طالب، وحتى لا ييأس النبي–صلى الله عليه وسلم– إذا عاداه عمه أبو لهب، وحتى لا ييأس النبي–صلى الله عليه وسلم– إذا رأى الشر من أقرب الناس إليه، وحتى لا ييأس النبي–صلى الله عليه وسلم– إذا اشتدت الكربات عليه، وليعلم أن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قال الله سبحانه وتعالى:"فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ" أي أخذوا يوسف معهم بالفعل، وهذه إرادة الله –سبحانه وتعالى– غالبة على إرادة يعقوب عليه السلام، وغالبة على إرادة يوسف عليه السلام، وبدأ البلاء والامتحان بيوسف عليه السلام تمهيدًا للتمكين، لما سئل الإمام الشافعي: أيبتلى المرء أم يمكّن؟ قال لا يمكّن حتى يبتلى.

مهما أظلمت الدنيا أمام عينيك إعلم أن الله معك

بدأت رحلة يوسف عليه السلام لتحقيق الحلم الذي أراده الله –سبحانه وتعالى– له، وتتعجب بين البداية والنهاية، ليس هناك أي رابط بين بداية يوسف عليه السلام، هذه البداية طفل مع أبيه يعلمه، ثم يخطف من حضن أبيه إلى مكان لا يعلمه إلا الله ويمر بمراحل عدة، حتى يعود إلى أبيه بعد أربعين سنة، كان هذا هو آخر مشهد بين يوسف عليه السلام ويعقوب وكأنه مشهد النهاية، غير أنه كان بداية جديدة لدين الله –سبحانه وتعالى– لبعث نبي جديد أراد الله –سبحانه وتعالى– أن تصحو فيه همم الأمم مرة أخرى، وأن ينار لهم الطريق مرة أخرى وأن يعرفوا ربهم. قال الله –سبحانه وتعالى–:"فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ" أي ذهبوا به بعيدًا "وَأَجْمَعُوا" إجماعًا "أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" يوسف:١٥، هنا نزل على يوسف عليه السلام وهو طفل صغير إلهام، ده مش وحي جبريل عليه السلام الذي هو معروف عند الأنبياء، زي ما ربنا بيقول إليه:"وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ"النحل:٦٨ ربنا بيقول:"وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ" القصص:٧، إن هنا ده اسمه وحي إلهام، إن يوسف عليه السلام ثبته الله في هذا الموقف، لأنه في مرحلة الإعداد، ربما تمر أحيانًا بمواقف صعبة، ربما تمر أحيانًا بمحن عظيمة لكن كن واثقًا أن الله معك، كن واثقًا أن الله لن يضيعك، أحسن الظن بربك، مهما ابتليت، ومهما أظلمت الدنيا أمام عينيك ولم تعد ترى في الدنيا أي نور. أحيانًا الإنسان بيحس بيأس من شدة البلاءات والكربات، لكن علينا ألا نيأس من رحمة الله، الله –سبحانه وتعالى– لم يترك يوسف في هذا الجب.

البكاء و التحايل على يعقوب عليه السلام

قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"، ربنا ألهم يوسف عليه السلام إن اللي بيحصل ده هيشوفوه قريب أوي هيعرفوه تاني، وأنت من سيخبرهم عن هذا الأمر"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" وتركوا يوسف في قعر هذا البئر على طريق الناس وهم يمرون وعلى طريق التجارة، ثم عادوا إلى أبيهم، قال الله –سبحانه وتعالى–:"وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ"يوسف:١٦، طبعًا لازم يعملوا النفس، ماهما محتالين، كذابين، أفاقين، عندهم حسد وحقد على أخيهم، لازم يستعمل العواطف ويعيط، عايز تقول له يا عيني إيه العياط ده، لذلك كان كثير من العلماء، لا يهتم إن جاءه رجل يبكي، يعني ما كانش بالنسبة له موضوع البكاء ده مؤثر أوي ليه؟ لكثرة احتكاكاته بالناس ومن كثرة تباكي الناس في معصية الله إن هو يفعل الخطأ ثم يجيء يبكي، قال:"وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" استعمل بقى الضغط النفسي على أبيه يعقوب عليه السلام:"قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ" يوسف:١٧، وسبنا يوسف جنب المتاع جنب الطعام والشراب والهدوم بتاعتنا وبعدنا شوية للسباق، ثم عدنا فلم نجد يوسف وجدنا ذئب يأكل يوسف، فلم يبق منه إلا القميص "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" يوسف:١٨

أصعب موقف؛ أب تاه منه ابنه

تعجب يعني إن هما كان عندهم سذاجة في ده، يعني لما تيجي تكذب الكذبة ما تكذبش نفس الكذبة اللي هو قال لك عليها، يعني اللي قال لهم أصلًا على موضوع الذئب ده كان مين؟ كان سيدنا يعقوب، غير أن الكذاب لابد أن يفضح، وعلم يعقوب أنهم كاذبون"قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ"، برضه الضغط المجتمعي، مش هتصدقنا، حتى لو كنا صادقين إنت مش هتصدقنا، كده المفروض إن هو يقول لهم إيه؟ خلاص، لم يتهمهم يعقوب عليه السلام بالكذب، غير أنه علم أنهم كذابين، قال الله سبحانه وتعالى:"وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" يعقوب عليه السلام لم يخوض معهم، إنما علم أنها إرادة الله، أصعب موقف ممكن تراه في حياتك، حتى أصعب من مواقف الحروب، موقف أب أو أم تاه منه ابن، اللي شاف الموقف ده مش هينساه طول عمره، موقف هلع وفزع وخوف، موقف من أصعب المواقف على الإنسان، على النفس البشرية، أن لو واحد بس تخيل إنه لو تلقى خبر إن ابنه مات بيرتاح، بيزعل شوية لكن في الآخر تنطفئ ناره، لكن ابنه تاه بيفضل حيران يبحث عنه في كل مكان، يشك في كل شيء، لا يستطيع أن ينام من شدة ما فجع على ابنه.

الفرق بين الصبر و الصبر الجميل

يعقوب عليه السلام تلقى هذا الخبر في صبرٍ عجيب فقال:"فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ"، يعني إيه صبرٌ جميلٌ؟ إيه الفرق بين الصبر والصبر الجميل؟ الصبر حبس النفس عن التسخط، حبس اللسان عن التسخط، الصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكاية فيه، يعني في نفسه، يعني حتى لما يتكلم كلمة مع حد. تلقاها يعقوب عليه السلام فصبر صبرًا جميلًا، لم يتكلم أصلًا، ثم قال: الله المستعان. هم يكذبون، هم جاءوا بدم كذب، هو فيه دم كذب ودم صادق؟ إن الدم ده مش دم يوسف أصلًا وحبكوا قصة، مشهد من أشد المشاهد على قلب الناس؛ إن أب يتلقى ضياع ابنه أو وفاة ابنه وهو يعلم أنه حي، غير أن يعقوب عليه السلام يعلم أن الأمر يأتيه من السماء.

الأنبياء أشد الناس فهمًا عن الله

ولنا هنا وقفة، زي ما وقفنا مع الحسد نعرف أن مقادير الأشياء تقدر من فوق سبع سماوات، إن الإنسان مهما حصل له مشكلة يعمل إيه؟ يلجأ إلى الله، لأن الأمر يتم من فوق، الأنبياء تلقوا مواقف شديدة الصعوبة على قلوبهم غير أنهم لم يكن عندهم أي حل إلا "كان إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة" وقف يصلي، الدعاء، اللجوء إلى الله، لم يذهب يمينًا وشمالًا، لم يتوه، لم يضل، إنما يعرف طريقه يعرف أن الأمر من فوق سبع سماوات يتم، يعلم أن الله –سبحانه وتعالى– هو الذي يرفع أو يخفض هو الذي يرد الضالة، هو الذي يُنعم، هو الذي يرزق، عارفين لما واحد عارف طريقه لما تحصل له مشكلة يقول لك إيه؟ أنا عارف أنا رايح فين. الأنبياء أسرع الناس فهمًا عن الله، فما بالنا لا نتعظ، إنسان بيحصل له مشكلة واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة ومصمم يخوض في المشكلة، لو أنا مكان سيدنا يعقوب كنت هعمل

إيه؟ هقوم واخد هدومي، فين؟ الذئب راح فين؟ هتوه تعالى نشوف المرعى ده وتعمل إعلانات في كل مكان، مش هتيأس، ومش ممكن ما تأخذش بالأسباب، إنما يعقوب عليه السلام صاحب بصيرة نافذة وحكمة بالغة إنه يعلم أن إرادة الله غالبة وأن يوسف عليه السلام بيد الله –سبحانه وتعالى–. فرضي يعقوب عليه السلام بقضاء الله وصبر على هذا المصاب الجلل غير أنه كتم في نفسه.

دائمًا أحسن الظن بالله وإن إنقطعت الأسباب

الله –سبحانه وتعالى– قال في آخر سورة يوسف"وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" يوسف:٥٦ وتتعجب أين التمكين في قصة يوسف عليه السلام في هذه المواقف؟ يعقوب عليه السلام أحسن الظن بربه في الوقت الذي أساء إخوة يوسف إلى يوسف عليه السلام الظن فيه، وأساءوا الظن فيه وفي أبيه يعقوب عليه السلام، أحسن يعقوب عليه السلام الظن في ربه، ابن مسعود كان يقول: والذي لا إله إلا غيره ما أُعطي عبدٌ مؤمنٌ شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عز وجل. النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "قال الله سبحانه وتعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء"صحيح ابن حبان. يعقوب عليه السلام ظن أن الله لن يضيعه، أحيانًا تقول لواحد إن شاء الله خير يقول لك أصل الكلام ده للناس الطيبين، للناس الصالحين، يا عم أحسن الظن بالله، هو أنا قلت لك أحسن الظن بنفسك! الله كريم، الله رحيم، الله حليم، الله رزاق، الله لا يعطيك لأنك تستحق العطاء، إنما يعطيك لأنه كريم، أحسن الظن بالله، حتى لما انقطعت الأسباب، امرأة إبراهيم عليه السلام قالت: إذن لن يضيعنا الله. يعقوب عليه السلام قال:"وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ"، وأعانه الله.

تزكية النفس بالقرب من الله والصلاة

مشاهد تحتاج إلى وقفة، لو أننا نلخص هذه المرحلة من حياة يوسف عليه السلام في آخر عهده بأبيه، وفي بدايته في رحلة تربيته ليوسف عليه السلام حتى يكون نبيًّا ممكَّنًا بعد ذلك، نرى كيف أن لجلسة الأب مع ابنه فائدة عظيمة، إن الأب يجلس مع أبنائه يعلمهم ويربيهم ويسمع منهم، نرى أن أوامر الله –سبحانه وتعالى– غالبة، قوى الشر اجتمعت على يوسف وهم أقرب الناس إليه، أجمعوا إجماعًا، يعني مافيش ولا واحد فيهم قال لأ. ١١ أخ بيجتمعوا على أخيهم، وهم يظنون أنهم عصبة، أرادوا قتله وأراد الله نجاته، هم يريدون والله يريد، والله غالب على أمره، لم يمت يوسف عليه السلام، ولم يخل وجه يعقوب من ذكرى يوسف عليه السلام، لأن الله لا يغالَب، فلا يعاند أحدٌ الله. ثم الحسد والبغضاء والحقد الذي إذا دخل قلب إنسان أكلت كل ما فيه، وهل يحسد الصالحون؟ هو ينفع واحد صالح يحسد؟ ينفع واحد يبقى أبوه شيخ ويحسد؟ هو ينفع واحد يكون متربي وسط الصالحين ويحسد؟ هو ينفع واحد يكون ماشي مع الصالحين ويحسد؟ آه. هؤلاء إخوة يوسف أبناء نبي وأحفاد نبي وأخوهم سيكون نبي ثم هم يحسدون. النفس البشرية تحتاج إلى تطهير وتذكير، الله سبحانه وتعالى قال:"قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"الشمس:٩–١٠ أنها تحتاج إلى تفتيش وتحتاج إلى متابعة، أقسم الله –سبحانه وتعالى– بالشمس وبالضحى وبالسماء وبالأرض على

أنها"قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا"وأنه"وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" الله –سبحانه وتعالى– قال:"قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ *وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ"الأعلى ١٤–١٥فالإنسان يتزكى بالصلاة وتزكى بذكر الله، يزكي قلبه، لما الإنسان يذكر ربنا تطهر نفسه، ولما الإنسان بيذكر البشر حتى لو كانوا ممن يحب من الصالحين، تخمل نفسه وتخمد نفسه لأن الله –سبحانه وتعالى– عظيم.

من يتبع الدنيا يهلك

ذلك أعظم الأشياء خير الأعمال قال:" ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم ، وأزكاها عندَ مليكِكُم ، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم ؟ قالوا : بلَى . قالَ : ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى قالَ معاذُ بنُ جبلٍ : ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ " صححه الألباني، الإنسان دائمًا يذكر ربنا، فلما يذكر ربنا تتضاءل أمام عينيه صورة الدنيا ومناظر الدنيا، وهل لأجل الدنيا ومناظر الدنيا يقتل الإنسان؟ بل ما قتل الإنسان إلا في ذلك.

النبي–صلى الله عليه وسلم– دخل على أصحابه، عايز أقول لكم إن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام دول أبطال، يعني واحد غير دينه في لحظات، وتعرض للإيذاء لأجل قضية آمن بها وتحمل في سبيل ذلك بلاءات عديدة، هاجر وسافر وترك وضحى وقاتل ومنهم من قتل لأجل قضية يؤمن بها، تخيلوا أن النبي–صلى الله عليه وسلم– يحذرهم يقول:"ما أخشى عليكم إلا كما أخشى عليكم الدنيا" النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول لا أخشى عليكم الفلوس إنما خايف عليكم الدنيا "أن تنافسوها" "فو اللهِ! ما الفقرَ أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تُبسطَ الدنيا عليكم كما بُسِطتْ على من كان قبلكم. فتنافَسوها كما تنافَسوها. وتُهلِكَكم كما أهلكتْهم". وفي روايةٍ: وتُلهيكم كما ألهَتهم" .صحيح مسلم،وهي الدنيا إيه أكل وشرب؟ نساء وأموال؟ "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ... " آل عمران:١٤ هي دي الدنيا، النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:"أخاف أن تنافسوها فإذا تنافستم فيها دب فيكم الحسد والبغضاء" قال "إنما أهلك من كان قبلكم" سعيهم على المناصب، سعيهم على الأموال، سعيهم على زينة الحياة الدنيا، قال:"فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"صحيح الجامع

لتكن نفسك نفس جميلة طيبة تحب الخير للناس

إن الإنسان يحسد ويحقد ويقتل ويعق لأجل ماذا؟ لأجل دنيا. فعلينا أن نزكي نفوسنا، أن نكثر من ذكر الخير، أن نذكر الله وأن نحسن الظن في الله، ثم أن نذكر كمالات الناس، مش قدح فيك أبدًا إن إحنا نقول فلان ذكي، مش قدح فيك إن إحنا نقول فلان حافظ لكتاب ربنا، مش قدح فيك مطلقًا نقول فلان الداعية مشهور بين الناس، مش قدح فيك مطلقًا إن فلان طبيب مشهور، أو فلان طبيب شاطر أو فلان طبيب نجيب، مش قدح فيك أبدًا إن إحنا نقول فلان موظف أمين، يقول لك يعني هو أمين وأنا مش أمين، هو أنا جيت نحيتك أصلًا، مش قدح فيك مطلقًا إنك تقول فلان ده طالب مؤدب يحبه أصحابه، يقول يعني أنا مش مؤدب! أن نعلم أنفسنا حب الخير، أن نعلم أنفسنا

مدح الناس بما فيهم، أن يكون الإنسان إنسانًا جميلًا وأن تكون عينه كعين جميلة، وأن يكون قلبه قلب جميل، وتكون نفسيتك نفس جميلة.

انظروا إلى هؤلاء الذين دب فيهم الحقد كيف أنهم دمروا حياة يوسف عليه السلام فيما يبدو للناس.كيف حملهم الحقد على أن يرموا أخوهم في الجب، كيف حملهم الحقد على أن يرموا أخوهم بعيدًا في مكان لا يعرفون فيه هل يأكل؟ هل يشرب؟ هل ينام؟ هل يهتم به أحد وهو مازال طفل صغير؟

دائمًا يقولوا النفس البشرية نفس مجبولة على حب القوي والشفقة بالضعيف؛ يعني لو أنت شفت واحد بيتظلم هتلاقي نفسك بتميل له، بتشفق له، ترحمه، حتى لو كان من أعدائك دي النفس السوية إنها بترحم الضعيف. هؤلاء نار الحقد في قلوبهم لم ترحم الضعيف ولا الطفل الصغير ولا صاحب الرحم، شفتم بقى أد إيه الحسد مصيبة، شفتم أد إيه الحسد ممكن يضيع أمم، ممكن يضيع عائلات وأفراد ممكن يضيع دينك.

أحد الأفاضل في جلسة مصارحة كان بيقول أنه بسبب الحسد كثيرٌ من أعمال الدين هدمت، فأنا استفسرت ما فهمتش الكلام قلت له مش فاهم قولي إزاي، قال لي يعني عشان واحد ما بيحبش إن أخوه يكون في مكانة ما في عمل ديني؛ جمعية خيرية مثلًا،أو دعوة مثلًا أو معهد لتحفيظ الأطفال القرآن أو مدرسة لتعليم الشباب علوم الشرع؛ إن عشان بينه وبين صاحبه اللي بيتعاملوا مع بعض في طاعة الله حسد يُهدم العمل، فقلت له (سؤال واضح): يعني لو عرض عليك موقف واحد اتنين ثلاثة؛ موقف إن أنت مش هتاخد مكانة في هذا العمل بس هتشتغل فيه، وجودك مؤثر فيه لو ما اشتغلتش العمل ده هيسقط؛ قال لي: مش هيكون لي مكانة؟! قلت: لأ. قال لي: مش هشتغل. قلت: هيتهدم. قال لي: يتهدم! بهذه البساطة؟! بهذه البساطة. والعلم اللي هيقل، ما يقل، ليه عشان مكانتي عشان شكلي عشان منظري، بئس هذا الشكل وبئس هذا المنظر وبئست هذه المكانة.

ميزان التقوى هو الميزان الراجح عند الله

النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم أصحابه:"لاتناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا"صحيح مسلم طب إيه اللي يخليك ما تعملش ده؟ "وكونوا عباد الله إخوانا"صحيح مسلم ثم أخيرًا أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد، لا تنسى أن الله غالب على أمره، مرّ يوسف عليه السلام ببلاءاتٍ شديدة وانتقلت قصة يوسف عليه السلام التي قصها الله –سبحانه وتعالى– علينا إلى مرحلة أخرى؛ يوسف في البئر؛ ثم يوسف بعد أن فقد أهله وطعامه وشرابه ومكانه الذي يعيش فيه يفقد مكانته فيباع ويشترى عبدًا بعد أن كان سليل الأنبياء وبعد أن قال النبي–صلى الله عليه وسلم– : "هو خير الناس" وبعد أن قال عمر بن الخطاب، دخل رجل يومًا على عمر بن الخطاب فقال: أنا سليل الأخيار، أنا من الأخيار، أنا راجل يعني إيه ملو هدومي فقال: من هذا؟ تعالى تعالى أنت مين ؟ فقال: أنا فلان بن فلان بن فلان وجعل يعدد آباء وأجداد كانت لهم مكانة في الجاهلية، فقال عمر: بل الأخيار بن الأخيار سليل الأخيار هو يوسف عليه السلام بن يعقوب عليه السلام بن إسحاق عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام، أما أبوك وجدك فهم في النار فما بال أحدكم يتباهى بأناسٍ في جهنم. إنت بتقول إيه؟! أنت أبوك أصلًا رجل كافر. أن الميزان عند عمر كان ميزان

الطاعة والمعصية لم يكن في ميزان المكانة والقوة والأموال وهذه موازين أهل الصلاح. يختلف كثير من الناس مع هذه الموازين لكنها هي موازين يحبها الله ويرضاها الله، ثم ننتقل بعد ذلك بعد أن فقد يوسف مكانته وبيع عبدًا وبعد أن كان رقيقًا إلى يوسف في شبابه وكيف جهز الله –سبحانه وتعالى– يوسف عليه السلام بالاستعصام، الاعتصام بالله وأنه نجح في هذا الميزان، ميزان الطاعة والمعصية، لما راودته امرأة العزيز وانتقل يوسف إلى مرحلة ثالثة وهي مرحلة امرأة العزيز وعزيز مصر، واحتكاكه بهذه البيئة الصعبة ثم يوسف عليه السلام في المكان الذي لم يذكر في القرآن إلا في هذه القصة –تقريبًا ٦ مرات– في السجن، فلم يذكر السجن على مر القرآن إلا في قصة يوسف عليه السلام. أنه ما سجن إلاه واحتكاكه بهؤلاء الظالمين والسارقين والقتلة ثم أخيرًا المرحلة الأخيرة يوسف عليه السلام مع إخوته مرةً أخرى بعد أربعين سنة من هذا الموقف، نقف عند هذا الحد ونكمل المرة القادمة إن شاء الله –سبحانه وتعالى– أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:
http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36